سأل الجدار المسمار؛ لِمَ تشقني؟ قال؛ سل من يدقني!

بقلم الشيخ الشهيد **صالح عبد السيد،** أبي يحيى الليبي

قد لا يستغرب الإنسان عندما يرى البنَّاء يرفع جدار بنائه لبنة لبنة.. يساوي بين هذه وتلك.. يهيئ الأولى لاستقبال الثانية ويضع الثانية عندما يرى أن مكانها قد أعد.. وقد لا يستغرب الإنسان أيضا عندما يرى هذا البنَّاء يترك بعض اللبنات القريبة من متناول يده ويتجه إلى أخرى أبعد.. فيرفع هذه ثم يضعها أرضا.. والتي بجانبها لا تحظى منه اهتمام، وكأن حمله للأولى كفاه مؤنة حمله لها.. وثالثة سليمة المظهر فيحملها بين يديه من بين ذلك العدد المتراكم من اللبنات.. ويخلص بها إلى حيث المكان المعد.. ولكن مع استقامة المكان المعد يظهر له اعوجاج تلك اللبنة فيحاول رفعها.. فتترك في ذلك المكان أثرا وذلك لما احتملته بطرفها من مواد التماسك الموضوعة لربط لبنات البناء، فيمسكها البنّاء بحذر ويحاول إبعادها عن متناول يده، حتى لا يتكرر لها اختيار، ويعود دون أن يحمل في يديه لبنة كي يهيئ المكان من جديد لاستقبال لبنة جديدة.. ثم يقف وكأنه شعر أن شروط الاختيار قد أضيف لها شرط آخر.. وكأنه شعر أن الاختيار اصبح مهمة لها ما بعدها.. وأن عليه أن يحسن الاختيار.. وعليه أن يدرك الاعوجاج في تلك اللبنات قبل وضعها حتى لا تتكرر التجربة ويتحمل بناؤه الآثار.

فشريط تجاربه وذكرياته مع البناء طويل جدا.. ولولا يقينه بأنه لابد لهذا البناء أن يرتفع.. ولولا يقينه بوجود تلك اللبنات الصالحة لرفع البناء.. ولولا ذلك العهد الذي يؤرقه.. العهد بحماية الحوزة والذب عن الحياض لولا ذلك كله.. لكانت تلك التجارب كفيلة بأن تجعله ينفض يديه من ذلك الغبار وينكل عن مواصلة البناء.. وكم يبدو هذا الأخير - ترك مواصلة البناء - جميلا ورائعا.. وكم يبدوا ورَعًا محمودا وفقها راجحا.. ولكنه ما أن ينتهي شريط ذكريات البناء.. ويصيب النفس شئ من الفتور والميل إلى الراحة والسكون.. حتى يمر شريط العوادي حيث لا تبقى دار ولا معلم.. ولا يبقى لأهل الأرض قيمة ولا مغنم.. ويرى مصير تلك اللبنات هو الاستقرار في قعر ذلك الوادي السحيق إن

لم تجد من ينسق بينها لتصبح سدا منيعا لا تستطيع تلك العوادي أن تتجاوزه فضلا على أن تحدث به نقبا.

وعند ذلك يجدد العزم ويقفز بجد لمواصلة البناء وكأنه قد شعر بأهمية ما قد ضيع من وقت في إعادة أشرطة ذكرياته.. ولو.. لكن قدر الله وما شاء فعل.. ولا نقل لو فإن لو تفتح عمل الشيطان.

وليس غريبا أن نرى ذلك البنّاء.. يجد في الاختيار والأمور بظواهرها - والله أعلم بما خلق وهو اللطيف الخبير.

وأحيانا يزن تلك اللبنات بما عنده من إيمان بضرورة البنيان وضرورة تماسكه.. فيقول وأي غرض لتلك اللبنات في إخفاء عيبها عني لتدخل هذا البناء وتكون عاملا في تقويضه وهدمه.. ألا تدري تلك اللبنات أن هذا البناء لأجلها.. لتُحمى وتحمي.. ويكون لها سبيلا لتوفي بعهدها ورضى ربها ترجو.

وليس مستغربا من ذلك البنّاء الذي صقلته المحن، وعلمته التجارب، أن يكون صاحب نظرة بعيدة ويضع في حسبانه متطلبات الضيوف فلذلك لا نستغرب أن نرى بين يديه عددا من المسامير.. فإن بينها وبين ذلك الجدار علاقة وطيدة.. فإنها جزء منه وهي عامل من عوامل حمايته وثباته، ولذلك نرى ذلك البنّاء يجعل لها بين تلك مكان لها لتكون جزءا من ذلك البناء، ولتدرك دورها وحقيقة ما هي فيه.. ولعله استحضر في ذهنه واسترجع شريط تلك الجدران المشققة بفعل تلك المسامير التي تدق دون أن تعرف هدفها أو حتى حقيقة فعلها وهي تجيب بكل براءة وصراحة عندما تسأل.. فقد قيل:

سأل الجدار المسمار؛ لم تشقني؟

فأجاب المسمار؛ سل من يدقني!

وتكون إجابة ذلك الضيف الكريم.. إذا ما سئل لماذا تدق هذا المسمار حتى تشق به الجدار؟ يقول لأنني أريد أن أعلق معطفي!!

أمن أجل معطفك تشق الجدار، وتستعمل في ذلك مسمارا لا تُفهمه حتى حقيقة ما تريد، فعلك لو أفهمته ما أطاعك.

لذلك كان من الحكمة أن توضع تلك المسامير كجزء من البناء ولتأخذ مكانها فيه، ولتعرف حقيقة دورها.. ولتعرف ماذا يريد الضيوف.. فتقدم لهم ما يحتاجون وكلا بحسبه، وتكون في طريقهم شوكة أن يمسوا ذلك البناء بسوء.

عن مجلة الفجر

منبر التوحيد والجهاد

sw.dehwat.www
sw.esedqamla.www
ofni.hannusla.www
moc.adataq-uba.www